PISSN : 2571-9904 - EISSN : 2602-7763

السيولة الاستهلاكية في الخطاب الرقمي المولد بالذكاء الاصطناعي، دراسة نظرية تحليلية في ضوء مقاربة زيجمونت باومان

Consumer Liquidity in AI Generated Digital Discourse: A Theoretical Analytical Study in Light of Zygmunt Bauman's Approach

ط. د عمار سعيدي[1،*] ، أ. د فضيلة تومي [2]، د. رابح صانع [3]

[1] جامعة قاصدي مرباح _ ورقلة (الجزائر)، saidi.ammar@univ-ouargla.dz

[2] جامعة قاصدي مرباح _ ورقلة (الجزائر)، toumi.fadhila@univ-ouargla.dz

[3] جامعة قاصدي مرباح _ ورقلة (الجزائر)، sana.rabah@univ-ouargla.dz

تاريخ الاستلام: 26/ 05/ 2026 تاريخ القبول: 29/ 07/ 2026 تاريخ النشر: 31/ 07/ 2026

ملخص:

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين السيولة الاستهلاكية والخطاب الرقمي المُولَّد بالذكاء الاصطناعي التوليدي في إطار مقاربة زيجمونت باومان، وتعتمد الدراسة مقاربة نظرية تحليلية لتحليل آليات انتاج الخطاب الرقمي المُولَّد وعلاقته بخصائص السيولة الاستهلاكية. توصلت الدراسة إلى أن الذكاء الاصطناعي التوليدي يمثل تجسيداً تقنيًا لمبادئ السيولة الاستهلاكية ذاتها، بل يمكن أن نقول يتجاوز إلى مرحلة " السيولة الغازية " الرقمية ، وتخلص الدراسة على أن التحدي الاكبر يتمثل في الحفاظ على مسافة نقدية تتيح للفرد أن يظل منتج للمعنى، لا مجرد مستهلك سائل للخطاب الرقمي المُولَّد.

الكلمات المفتاحية: السيولة الاستهلاكية؛ الخطاب الرقمي المُولَّد؛ الذكاء الاصطناعي التوليدي؛ الحداثة السائلة؛ زيجمونت باومان.

Abstract:

This study aims to analyze the relationship between liquid consumerism and AI-generated digital discourse within the framework of Zygmunt Bauman's approach. The study adopts a theoretical-analytical approach to examine the mechanisms underlying the production of AI-generated digital discourse and its connection to the characteristics of liquid consumerism. The findings reveal that generative artificial intelligence represents a technological embodiment of the very principles of liquid consumerism and may even extend toward a stage of digital "gaseous liquidity." The study concludes that the greatest challenge lies in maintaining a critical distance that enables the individual to remain a producer of meaning rather than merely a fluid consumer of AI-generated digital discourse.

Keywords: *Liquid Consumerism; AI-Generated Digital Discourse; Generative Artificial Intelligence; Liquid Modernity; Zygmunt Bauman.*

* المؤلف المرسل

I. مقدمة

في ظل التطور التكنولوجي والتدفق المعلوماتي الهائل، ظهر إلى الوجود مصطلح السيولة المعاصرة وهو مصطلح جاء به المفكر البولندي زيجمونت باومان **Zgmmut Bauman** (1925-2017م) بحيث يستخدم مصطلح الحداثة السائلة بديلاً عن المصطلح المتداول في أوساط المفكرين والباحثين والمعروف بمصطلح ما بعد الحداثة. وهذا العصر الذي صارت فيه السيولة الميزة البارزة لوضعنا، خاصة في ظل سيطرة الشبكة العنكبوتية والتوجه نحو الاستهلاك والتحديث المستمر (بوداني، 2025، صفحة 226).

في ظل التغيرات والتحولات التكنولوجية المتسارعة برز الذكاء الاصطناعي التوليدي (**CHAT GPT** ، **GEMINI**، **MIOLJOURNEY**) كواحد من أكثر التقنيات إثارة للتأمل والجدل حيث لم يعد الأمر متقصراً في ظل الذكاء الاصطناعي التوليدي على أتمتة المهام الميكانيكية بل تجاوز إلى أتمتة الشعور والفعل البشري الذي كان يعتبر الأكثر خصوصية، ومن تجليات ذلك إنتاج الخطابات المولدة، حيث لم تعد الكتابة حكراً على العالم أو المفكر بل صار الروبوت الآلي قادراً على توّليد نصوص وصور وأفكار وفيديوهات بسرعة فائقة وبكميات هائلة، ليبرز نفسه كمنتج خطابي يدمج بين الصورة والنص والفيديو.

لقد عاش ويعيش الفرد المعاصر، وفقَ العالم البولندي **زيجمونت باومان** تحولات جذرية من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة ففي مقابل العالم القديم الذي كان يقوم على مؤسسات وهيئات ثابتة مستقرة وايديولوجيات راسخة وعلاقات دائمة. جاءت الحداثة السائلة لتذيب وتصهر كل هذه الصلابة وتحولها إلى أنماط حية مرنة، سريعة التغير، ومؤقتة، في هذه السياق، يتحول المجتمع من مجتمع المنتجِين (أي الذين يصنعون السلع، الافكار والقيم) إلى مجتمع المستهلكين (أي موضوع للإنتاج، التسليع والاستهلاك).

وفي ظل هذه التحولات، يظهر الخطاب الرقمي المُولَّد كأداة جديدة لإعادة إنتاج منطق السيولة الاستهلاكية عبر الخوارزميات والتخصيص الرقمي وتأثيره في قرارات وتوجهات المستهلكين، وعليه تمحورت إشكالية الدراسة في البحث عن **الكيفية التي يسهم بها الخطاب الرقمي المُولَّد بالذكاء الاصطناعي التوليدي في إعادة تشكيل أنماط الاستهلاك داخل المجتمع الرقمي المعاصر في ضوء مقاربة زيجمونت باومان؟**

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحليل مفهوم السيولة الاستهلاكية في فكر **باومان**، وبيان خصائص الخطاب الرقمي المُولَّد بالذكاء الاصطناعي التوليدي، وتفسير أوجه التقاطع بينهما، واستكشاف انعكاسات ذلك على الهوية والثقافة والاستهلاك في المجتمع المعاصر.

منهج الدراسة :

تعتمد الدراسة مقاربة نظرية تحليلية نقدية تقوم على تفكيك المفاهيم الأساسية وربطها بأطروحات **زيجمونت باومان** من أجل استقراء وتفسير انعكاسات الخطاب الرقمي المُولَّد بالذكاء الاصطناعي في إعادة تشكيل السلوك الاستهلاكي في المجتمع المعاصر.

أولا: مدخل مفاهيمي للدراسة:

1. مفهوم السيولة:

يشير مفهوم السيولة عند **زيجمونت باومان** بأنها: " حالة من التغير والتحديث المستمر وعدم الثبات الذي يمس كافة جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية" ،فالسيولة بهذا المعنى تعني " الميوعة و هي سمة المواد السائلة والغازية، وتؤكد الموسوعة البريطانية أن المواد السائلة والغازية تتميز عن المواد الصلبة بعدم الاحتفاظ بقوى التماسك بين مكوناتها في حالة السكون، من ثَم تغير شكلها باستمرار ما دامت تتعرض لإجهاد". (باومان ز.، الحداثة السائلة، 2016، صفحة 41) لهذا يسمي **باومان** هذا الواقع أو النموذج باسم " الحداثة السائلة، وهو ما عبر عنه صراحة بمايلي: " وما قررت أن أسميه بوضوح الحداثة السائلة، إنما الإيمان المتنامي بأن التغير هو الثبات وأن اللايقين هو اليقين الوحيد" (شراد، 2017، صفحة 752)

2. مفهوم السيولة الاستهلاكية:

هي نمط من السلوك الاجتماعي والاقتصادي والثقافي في ظل الحداثة السائلة، تتسم بعدم الاستقرار والسرعة والتركيز على الرغبة بدل من الحاجة، حيث تتحول الأشياء المستهلكة سواء كانت مادية أو رقمية إلى أشياء ذات عمر افتراضي قصير جدًّا يمكن التخلص منها أو تغييرها بمجرد ظهور أشياء جديدة، ممَّا يجعل العملية الاستهلاكية غاية في حد ذاتها وليس لإشباع حاجات محددة للفرد. "فانتقلنا من الاستهلاك كحاجة بيولوجية إلى الاستهلاكية كثقافة وأيديولوجية، فالاستهلاكية إذن ليست مجرّد عملية اقتناء للسلع و استعمالها تلبيةً للحاجة أو تحقيقها للمنفعة بل هي إطار إدراكي وتفسيري أو براديغم تشكّل طريقة فهمنا لعالمنا المعاصر وكل ما يتعلق بحياتنا اليومية". (موح و كيشي، 2026، صفحة 3)

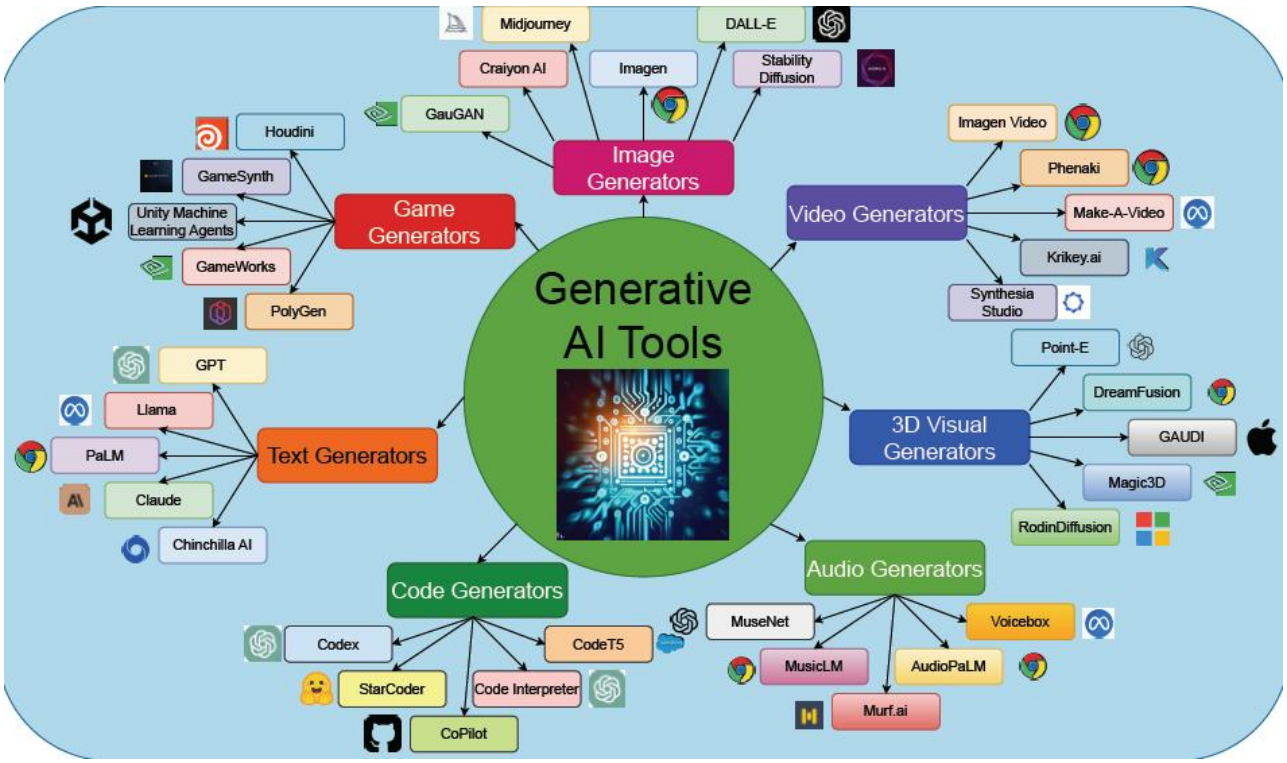
3. مفهوم الخطاب الرقمي المُولَّد:

هو ذلك الخطاب الذي يتم توليده عن طريق مجموعة الخوارزميات الذكية، وهو نمط من التواصل اللغوي البصري والسمعي يتميز بمحاكاة الانماط اللغوية البشرية، حيث ينتج ويعيد إنتاج مضامين جديدة (نصوص، صور، فيديوهات) من خلال إعادة تركيب احتمالية للبيانات الضخمة وليس مجرد استرجاع للمعلومات فقط.

4. مفهوم الذكاء الاصطناعي التوليدي:

الذكاء الاصطناعي التوليدي هو: " شكل من أشكال الذكاء الاصطناعي يمكّن الأنظمة من إنتاج محتوى جديد استنادًا إلى بيانات تدريب سابقة " . (الملا و ميادة، 2026، صفحة 471) و يعرف الذكاء الاصطناعي التوليدي كذلك بأنه "مجموعة من الخوارزميات الاصطناعية التي تستفيد من المحتوى المتاح مثل النصوص والملفات الصوتية أو الصور بهدف إنشاء محتوى جديد، وتتيح هذه الخوارزميات للحواسيب القدرة على استخلاص الأنماط الكامنة في بيانات الإدخال، ثم توظيف هذه الأنماط لتوليد محتوى مشابه أو جديد انطلاقًا منها. وفي الوقت الراهن، أصبحت تقنيات الذكاء الاصطناعي التوليدي المتوفرة في السوق متخصصة في أداء مهام محددة، حيث يتم تصنيفها عادة وفقا لنوع المحتوى الذي تقوم بإنتاجه. ويوضح الشكل رقم (1) لمحة عامة عن هذا التصنيف "(MITTAL, SIVA, VINAY, & DEVIKA, 2024, p. 3_2).

الشكل رقم 1: فئات منتجات الذكاء الاصطناعي التوليدي



المصدر: MITTAL, U., SIVA, S., VINAY, C., & DEVIKA.2024.p3

ثانيًا: زيجمونت باومان: فيلسوف سلسلة السيولة

من خلال استقراء السيرة الذاتية لعالم الاجتماع **زيجمونت باومان**، يتضح أنه مفكر سعى على امتداد مساره الفكري والأكاديمي إلى إعادة التفكير في الواقع اليومي، فمسار حياته غني للغاية بالتجارب الشخصية والإرشادات الأكاديمية التي تجعله أحد المثقفين البارزين الجديرين بالدراسة والاهتمام.

"ولد **باومان** عام 1925 في بولندا لعائلة يهودية، كان لاجئًا في الاتحاد السوفياتي في بداية الحرب العالمية الثانية، شارك في تحرير برلين من القبضة النازية عند عودته إلى بولندا، طرد من الجيش بتهمة معاداة السامية، ومنذ تلك اللحظة بدأت مسيرته الأكاديمية في عام 1953 في وارسو ، حيث برز لاحقًا كواحد من أهم المثقفين في البلاد، بعد دعم الحركة البولندية الناشئة في عام 1968، حظر الحزب الشيوعي أعماله ومنعه من التدريس بعد هذه الأحداث انتقل إلى إنجلترا حيث قام بالتدريس هناك في جامعة ليدز حيث طور أعماله والتي من بينها (الحداثة والهلوكوست 1989، أخلاقيات ما بعد الحداثة 1993، العولمة: العواقب الإنسانية 1998، الحداثة السائلة2000، المجتمع المنفرد 2001، المجتمع المعاصر). (أحمد و بكيري ، تحولات مفهوم الهوية في عصر الحداثة السائلة عند زيغمونت باومان، 2025، صفحة 258) كما ألف باومان مجموعة الكتب المعروفة بالسلسلة السيولة (الحياة السائلة، الخوف السائل، الشر السائل، الحب السائل، المراقبة السائلة، الأزمنة السائلة، الثقافة السائلة) و لباومان مواقف مشرفة من فلسطين من خلال نقده للدولة الصهيونية وشبه الجدار

الذي تضعه إسرائيل في الضفة الغربية بالجدران التي كانت تضعها النازية في وارسو إبّان الحقبة النازية وتوفي في 9 جانفي 2017 (الله و محمد، 2021).

1. السيولة الإستهلاكية في فكر باومان

بالنسبة لباومان، يرتبط انحلال التقاليد وتفكك المرجعيات بأزمة السلطة التي يعيشها المجتمع المعاصر بسبب سقوط وتهاوي العديد من الأنظمة المبنية تاريخيا، بوصفها عناصر للوحدة، والتي كانت بمثابة مرجعيات محددة ومقبولة بشكل جماعي. (أحمد و بكيري ، تحولات مفهوم الهوية في عصر الحداثة السائلة عند زيغمونت باومان، 2025، صفحة 10) **ومن ملامح السيولة الاستهلاكية عند باومان يمكن عرض العناصر التالية:**

1.1 الخلق المستمر للرغبات:

يقوم مجتمع المستهلكين على التأكيد على الإشباع الفوري، لكن مع ضمان ألا يكون هذا الإشباع نهائيًا. الرغبة نفسها هي السعلة الأهم، ويتم تجديدها باستمرار لضمان استمرارية حلقة الاستهلاك وألا يكون لها نهاية. "إن المتلازمة الاستهلاكية التي تخضع لها الثقافة المعاصرة تتمركز حول إنكار شديد لفضيلة إرجاء الرغبات، فضيلة إرجاع الإشباع ، أي المبادئ التأسيسية لكل من مجتمع المنتجين" أو المجتمع المتمركز حول الإنتاج ففي المكانة الموروثة للقيم المعترف بها، جاءت المتلازمة الاستهلاكية لتخلع الدوام عن العرش، وتتوج الزوال ليتربع عليه، و لتضع قيمة الجِدة فوق قيمة الدوام". (باومان ز.، الحياة السائلة، 2016، صفحة 92)

2.1 الهوية كسلعة:

في مرحلة الحداثة الصلبة، كانت الهوية تتشكل استنادًا إلى مرتكزات راسخة وثابتة، تتجلى في منظومة مترابطة من القيم والأعراف والمعتقدات التي تؤدي دورًا حاسمًا في توجيه سلوك الأفراد، وتُسهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي وتعزيز الانسجام بين مكوّنات المجتمع. كما كانت هذه الهوية تُعلي من شأن المشترك الجمعي، وتحافظ على الخصوصيات الثقافية التي تميز كل مجتمع عن غيره.

أما في السياق المعولم، فقد أضحت الهوية أكثر سيولة وتحوّلًا، تتسم بالغموض والتعدد وعدم الثبات إلى وصولها حالة الزئبقية، حيث لم تعد القيم والأعراف مرجعيات مستقرة، بل أصبحت خاضعة لمنطق الاستهلاك والتغير المستمر. ونتيجة لذلك، لم تعد الهوية ذات طابع أصيل متماسك، بل غدت هوية هجينة ومركّبة، تتداخل فيها عناصر مختلفة، وتتسم بالهشاشة والمرونة، في ظل التأثير العميق للعولمة على البنى القيمية والثقافية للمجتمعات. (أحمد و بكيري ، تآكل الهوية في الحداثة السائلة: مقاربة نقدية لفكر زيغموند باومان، 2025)

لذلك تصبح الهوية الفردية نمطًا خاضعًا للتجميع والتفكيك ويتم بنائها على خيارات استهلاكية (ملابس، سفر، ترفيه، آراء، موسيقى) يمكن التخلص منها بسهولة عندما تفقد قيمتها الرمزية لتتخطى بذلك أطرها القيمية.

3.1 عبادة الجسد:

إن انشغال الأنا بذاتها في سياق الحداثة السائلة يدفعها إلى تبنّي شكل جديد من التعبّد، يتمثل في تقديس الجسد بوصفه مركزًا لإبراز الهوية. فقد أصبح الجسد اليوم موضوع عناية فائقة، يُسعى من خلاله إلى تحقيق صورة مثالية تتسم بالجمال والشباب الدائم.

وفي هذا السياق، يؤكد **زيجمونت باومان** "أن أرفف المحال التجارية ناهيك عن المواقع الإلكترونية الخاصة بالصحة والعناية بالجسم، غنية بمستحضرات التجميل ومختلف الأدوية للعناية بالبشرة وتنحيف الجسد، فهي توفر الحلول السريعة للمشاكل العويصة على المستهلك بطرق ومهارات عالية الجودة، تمكن الإنسان من التحكم في جسده بطريقة غير مسبوقة، لكنها مضمونة وناجحة ومجربة، وهذا ما تتخذه عملية تشكيل الجسد و"تطويره" بل وإعادة تدويره من مَنْحًى جديداً وهذا ما يؤكده خبراء الصحة اليوم في قول أحدهم، فلدينا الآن الوسائل التي تساعدنا على ممارسة درجة غير مسبوقة من التحكم في أجسادنا". (عفاف، 2022، صفحة 4) مما يجعل الجسد ينتقل من كونه محرك فاعل للعمل في مختلف الاعمال في زمن الحداثة الصلبة إلى كونه جزء للاستهلاك في زمن الحداثة السائلة.

4.1 التناقضات في السعادة الراهنة:

يرى **جيل ليبوفتسكي و باومان** "ظاهرة السعادة في المجتمعات ما بعد الحداثة ويريانها سعادة تحمل في ذات معالم الضدية؛ فبقدر ما توفر للإنسان الأريحية والمتعة بقدر ما تزيد في نفسه من شعور بالمقت والقلق، وهذا ما يقصده جيل **ليبوفتسكي** " بالسعادة المتناقضة "والتي تتراوح بين الرفاهية ورغد العيش الإنساني والشعور بالقلق، وخيبات الأمل والحرمان والاكتئاب، نتيجة عدم إمكانية تحقيق الكمال المنشود خاصة عند أولئك الذين لا تتوفر لديهم الإمكانية اللازمة للوصول لحالة الكمال. وذات الأمر قد لاحظه **زيجمونت باومان** على الإنسانية فهو يرى أن عالم السوق يوفر للأفراد ملذات بطرق سهلة الاستعمال سريعة الإشباع، ولا تتطلب أي جهد أو تضحية من طرف المستهلك، وهو الأمر الذي يجعلهم يشعرون بالسعادة لأنهم يتلذذون بالأشياء الجميلة اللامعة على أرفف السوبرماركت أو شماعات المحال التجارية، إلا أن الإنسانية في هذه الأيام تعاني من كرب دائم، ويعتريها شعور بالقلق والخوف المزمن من القادم وهذا ما هو إلا أثر جانبي من آثار النزعة الاستهلاكية يقول إن الكرب أثر جانبي للحياة في مجتمع استهلاكي، ففي ذلك المجتمع تتعدد الطرق وتتفرق، لكنها تؤدي جميعها إلى المحال التجارية". (عفاف، 2022، صفحة 997)

في ظل انتشار النزعة الاستهلاكية وما يصاحبها من الشعور بالقلق والخوف والرغبة في الانتحار بالإضافة إلى تفشي العديد من الأمراض النفسية والعقلية، وهذا ما يتوافق مع بيانات جديدة صدرت عن منظمة الصحة العالمية بوجود أكثر من مليار شخص يعانون من اضطرابات نفسية. (مركز وسائل الاعلام، 2025)

5.1 السرعة والقابلية للإستهلاك:

هي أن حياة الناس في الحياة السائلة لا يمكن أن تحتفظ بشكلها ولا تظل على حالها لوقت طويل، فهي حياة محفوفة بالمخاطر يحياها الانسان في حالة من الترقب والحذر الدائمين، " في ذلك المجتمع، لا يسلم شيء من قابلية التخلص بعد الاستعمال " (باومان ز.، الحياة السائلة، 2016).

ولعل أخوف ما يواجهه الإنسان في حياة كتلك هو احتمال الفشل من اللحاق بالمستجدات المتسارعة، فالحياة في مجتمع كهذا أشبه بلعبة الكراسي الموسيقية، حيث يكمن الرهان الحقيقي في النجاة من الاستبعاد المؤقت، فالفرد أضحى تحت الحصار الذي يبسطه الاستهلاك، وأصبح التوجس الحقيقي هو أن يُغفِل المرء اللحظة المناسبة التي ينبغي عليه فيها تبديل أشيائه/علاقاته بماركة تجارية جديدة غير التي معه. (عودة، 2025)، وما يعكس هذا الطرح ويجسده في واقعنا المعاصر هو التحديث المستمر في تكنولوجيا الاتصال، إذ لا يتم الانتقال من جيل إلى جيل في وسائل الاتصال إلا باقتناء أجهزة جديدة، فمن المستحيل على سبيل المثال

الاتصال بشبكة الإنترنت الجيل الخامس (5G) وأنت تمتلك جهازاً لا يدعم هذه الخاصية. وبناءً على ذلك، أصبحت القيمة مرتبطة بالاستحداث والسرعة، فما هو جديد اليوم يصبح قديما غداً وهكذا صار الاستهلاك عملية تعتمد على مبدأ " الاستعمال والتخلص" **Use and dispose**.

ثالثًا: الذكاء الاصطناعي التوليدي كآلية للسيولة:

عند قراءة مخرجات الذكاء الاصطناعي التوليدي بنظارات **باومان** نجده أنه يمثل انعكاسات تقنية لمبادئ السيولة ذاتها.

1. إنتاج خطاب بلا جذور صلبة:

أصبح الذكاء الاصطناعي التوليدي يولد نصوصًا وفيديوهات وصوراً بناءً على نماذج إحصائية للغة الخوارزمية، وليس بناءً على تجربة إنسانية حية أو معاناة أو انتماء ايديولوجي، ديني، أو سياسي صلب، إنه ينتج خطابًا رقميا سائلاً بامتياز بحيث يمكنه تبرير أي موقف أو كتابة أي نص رقمي مهما كان مضمونه أو نوعه بل ونقيضه في نفس الوقت مع الدردشة مع الروبوت وبذلك يتم استهلاك هذا الخطاب ليس لمحتواه الصلب ولكن لفعاليته المؤقتة والفورية، لذلك أصبح المستخدم يستهلك مقالاً أو صورة أو فيديو مولد بتقنيات الذكاء الاصطناعي ليس باعتباره حقيقة يؤمن بها، بل لأنها تخدم مُبتغى لحظي معين .

2. إعادة بناء نموذج الرغبة والإشباع:

ساهم ظهور الانترنت في القرن الماضي في تقليص مدة الانتظار، لكن مع ظهور تقنيات الذكاء الاصطناعي اختفى زمن الانتظار تمامًا بحيث أصبح الفرد لا يبحث عن معلومة بل تولد تلقائيا بضغطة "زر" من خلال دردشة مع روبوت حيث أن هذه الأخير يستطيع توليد لوحة فنية من خلال ما تريده من خصائص ولا تنتظر رسامًا يرسم لك تلك اللوحة، هذه السرعة من الإشباع التي يحققها الذكاء الاصطناعي التوليدي تؤدي إلى قتل الرغبة بشكل أسرع بمجرد استهلاك الخطاب أو المحتوى المولد. في هذا السياق يرى باومان بأن السيولة تصر على أقصى لذة للإشباع من أجل تحقيق المزيد من الاستهلاك القهري واللامُتناهي. (باومان ز.، الحياة السائلة، 2016)

3. وهم العلاقة السائلة:

لقد أصبحت تقنيات الذكاء الاصطناعي تقدم علاقات سائلة مع الروبوت، هذا الروبوت أصبح يتذكر تفصيلاتنا ويخاطبنا بأساميا ويصمم إجابات وفق تخصصاتنا ليرضينا، إنها علاقة استهلاكية مثالية تتميز بسلاسة التواصل وبساطته دون تعقيدات البشر، أصبح استهلاك هذه الخطابات الرقمية المولدة يخلق ويحقق نوع من الرضا الآلي، مما يعمق العزلة الفردية. " ناهيك عن دخول الإنسان في حالة اغتراب تام _ مع نفسه والجماعة التي ينتمي إليها _ بسبب سطوة " الفردانية " المتوحشة، وطغيان الاستهلاك على الحياة وكل ذلك أدى إلى تخلف في مستوياته المتعددة **يقول ادغار موران:** وهكذا فنمو حضارتنا يقودنا إلى تخلف ثقافي جديد، وإلى تخلف عاطفي _ ولم يعد الناس قادرين على إيجاد إجابات عن حاجتهم للتواصل الإنساني، والمحبة والاجتماع _ وإلى تخلف أخلاقي في ظل تقهقر المسؤولية والتضامن ". (عفاف، 2022) ويبدوا أنَ إنسان الواحد والعشرون قد فشل فشلاً ذريعاً، إذ انحلت روابط التآزر الأسري والاجتماعي، وتفككّت العائلة دون أن تحل محلها روابط جديدة، فلقد أصبح الإنسان العصري أكثر حرية ممَا سبق، لكنّه وحيد وقلق إنه حرّ لكنّه خائف من هذه الحرية، يعيش في حالة من الضنك وعدم الطمأنينة . (بورايو، 2024، صفحة 145)

4. انتاج خطاب توليدي بدون تكلفة:

سابقا كان انتاج الخطاب مهما كان مضمونه يتطلب استثماراً ماديًا وزمنيًا ونفسيًا وجسديًا والكتابة كانت عملية مكلفة حيث تتطلب تأملا وصبراً ومراجعة، لكن مع الذكاء الاصطناعي التوليدي اختفت هذه التكلفة وأصبح بإمكاننا الحصول على مقال متكامل أو قصيدة شعرية بكبسة واحدة بحيث أصبح الإنتاج خوارزميا غير مثقل بمعاناة الكاتب ووقته.

عززت نماذج مفتوحة المصدر إنتاج خطاب مُولَّد بالذكاء الاصطناعي التوليدي دون تكلفة وأصبحت بديلاً قويا عن النماذج التجارية المغلقة، حيث انتقلت سلطة التوليد من المؤسسات الاحتكارية إلى فضاءات أكثر انفتاحا وتشاركية ممّا يلغي رسوم الاشتراك أو دفع رسوم رمزية فقط.

رابعًا: تجليات السيولة الاستهلاكية في الخطاب الرقمي المُولَّد بالذكاء الاصطناعي التوليدي:

1. في السياسة والأيديولوجيا:

السياسة والإيديولوجيا لا يمكن عزلها عن التأثيرات التي أحدثها الخطاب الرقمي المُولَّد بالذكاء الاصطناعي التوليدي حيث مست عدة زوايا: الانتخابات، صنع القرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي وكذلك الحروب والسياسة الخارجية، بحيث أضحى الخطاب الرقمي المُولَّد أداة هامة في الحياة السياسية بفعل التطور التكنولوجي من خلال البيانات الضخمة **BIG DATA** وظهور الأدوات التوليدية مثل **CHAT GPT** بفضل هذه الأدوات أصبحت الخطابات الانتخابية مخصصة حسب فئة انتخابية و متناقضة أحيانًا ولم تعد الأحزاب تنتج خطابات صلبة بل تنتج خطابات استهلاكية لحظية تلبي مزاج ورغبة الهيئة الناخبة و تتحول السياسة إلى سوق للخطابات الاستهلاكية السائلة وتتآكل البنى الصلبة (الأحزاب، الأيديولوجيات، الجمعيات، المجتمع المدني) و يتحول الناخب إلى مستهلك للخطاب السائل بدلا من فاعل سياسي صلب.

"صارتْ تقنيّات الذكاء الاصطناعي إحدى الآليات الأساسيّة التي يعتمد عليها صانعُ القرار في عالمنا اليوم، حيث تلجأ إليها الحكوماتُ في تحليل البيانات لاتخاذ قراراتٍ ووضع سياسات أكثر استنارةً من خلال مُحاكاة سيناريوهات سياسات مُختلفة، وتقييم آثارها المُحتملة، وإجراء التعديلات اللاّزمة. هذا بالإضافة إلى المُساعدة في الكشف عن الفساد من خلال تحليل المُعاملات المالية والسجلات والحكومية بحثاً عن أية مخالفات" (مبروك، 2025).

2: في بناء الهوية:

يشهد مفهوم الهوية تحولاً ابستمولوجيًا من كونه بنية ثابتة ومستقرة في زمن الحداثة الصلبة إلى كونه سيرورة ديناميكية تتشكل عبر التفاعل الاجتماعي والرمزي في زمن الحداثة السائلة ويرى **حجاج أبو جبر** أن "الهوية تمر بمأزق جديد بعدما بَرع العقل البشري في الإنتاج المفرط للوسائل بما يتجاوز الحاجات، وبعدها صارت الوسائل الوفيرة تبحث عن غايات تخدمها، وبعدها صارت الغايات غير محددة وغير يقينية، وبعدها انهارت الروابط الاجتماعية التي تتشكل فيها الهوية، وبعدما حلَّ الإشباع الآني محل إرجاء الإشباع، وبعدما أضحت القدرة على الاستهلاك هي التعبير الأمثل عن حرية الاختيار وخصخصة الواجبات والمهمّات التحديثية، وبعدها انتقل الخطاب الأخلاقي والسياسي من إطار المجتمع العادل إلى إطار حقوق الإنسان" . (جبر، 2022، صفحة 155)

ومن هذا المنظور، يرى **ريجمونت باومان** من خلال تحليله للحداثة السائلة بأن الهوية مشروع مفتوح، خاضعة للتغير المستمر، ومفتقرة إلى الثبات (باومان ز.، 2016). وهذا التحول يتعزز في ظل الخطاب الرقمي المُولَّد بالذكاء الاصطناعي الذي يتيح للفرد إمكانيات متعددة لإعادة تمكين ذاته وفق سياقات مختلفة، هذه الهوية اكسبت الفرد حرية الاختيار المرن، لكنها تحمل في الوقت نفسه أعباء القلق الوجودي الذي تتميز به مرحلة الحداثة السائلة.

هناك عدة مستويات تحليلية تتجلى فيها العلاقة بين الخطاب الرقمي المُولَّد بالذكاء الاصطناعي التوليدي والهوية أولاً يساهم هذا الخطاب في إنتاج نماذج معيارية للهوية من خلال تقديم أنماط جاهزة للسلوك والقيم، وهو ما يدفع الأفراد إلى تبنى هويات سائلة داخل الفضاءات الرقمية ثانيًا يعزز الطابع الأداتي للهوية، من خلال الوجود الرقمي القائم على تمثيل الذات أمام جمهور افتراضي مما يجعل الهوية تخضع للآليات الخوارزمية تعيد تشكيلها بناءً على البيانات والتفاعلات. هذا التداخل بين الخطاب الرقمي المُولَّد والهوية لا يخلوا من إشكاليات نقدية، بسبب التطور التكنولوجي الهائل الذي يمس كل نواحي الحياة، ففقد فيه الفرد وجوده الأصيل مقابل وجود زائف في بيئة اجتماعية رقمية قفزت على الحدود والحواجز الجغرافية، وقد يفضي هذا التداخل إلى نوع من الاغتراب حيث يشعر فيه الفرد بانفصال بين ذاته الفعلية وتمثلاته الرقمية.

3: في الإبداع والثقافة:

تغير الإبداع البشري البطيء النابع من أعماق الأفراد والمصقول بتجاربهم اليومية باستهلاك فوري للإبداع الخوارزمياتي المولد أي يستبدل مرجع ذو قيمة لكاتب أو عالم أو مفكر بنص يتم استهلاكه كبديل سريع لقراءة المراجع الصلبة بحيث تصبح الثقافة شبيهة بأكلات السريعة **FATS FOOD** وبذلك يصبح المنتج الإبداعي المولد بالذكاء الاصطناعي الذي يحاكي الإبداع الإنساني شكلا بلا روح حيث يخلو من معاناة المبدع وإنسانيته.

كل تلك العوامل أدت إلى انتقال الثقافة من مرحلة الصلابة (اليقين) إلى مرحلة السيولة (اللايقين)، ما جعل الثقافة تتمركز حول الاستهلاك والسلع الجديدة، لذلك يقول **باومان**: «ليس لثقافة الحداثة السائلة من شعب تنيره وترتقي به، ولكن لها زبائن تغريهم. فالإغراء، على العكس من التنوير والارتقاء بالنفس، ليس مهمة واحدة ومنفصلة يقوم بها المرء مرة للأبد، بل هو نشاط مفتوح لانهاية له، فليست وظيفة الثقافة هي إشباع الحاجات القائمة، بل خلق حاجات جديدة، بينما تحافظ على الحاجات المترسخة بالفعل أو غير المتحققة على الدوام. فاهتمامها الرئيس هو منح إحساس بالرضا لدى الزبائن، لا سيما منح الإشباع الكامل التام النهائي الذي لا يترك مجالاً لمزيد من الحاجات والنزوات الجديدة التي لم تتحقق بعدُ. » (باومان ز.، الثقافة السائلة، 2016، صفحة 23) و بما أن كل شيء خاضع للربح والاستهلاك تقوم الثقافة السائلة على الاغراء عكس التنوير من أجل الاستمرار في الاستهلاك السائل .

ويشير **By Nick Palmer** أن الخوارزميات التوليدية لا تعمل على توحيد الانماط الثقافية فحسب بل تسحق هذا التنوع عبر تفضيل المواد السطحية على الاعمال التي تنطوي على عمق ثقافي علاوة عن ذلك يواجه المبدعون ضغوطًا مستمرة للامتثال لمتطلبات الخوارزميات المتقلبة. (Palmer، 2025)فتقنيات الذكاء الاصطناعي التوليدي يمكن أن تشكل " إنسان ذي بُعد واحد " (ماركيوز، 1988)،أي إنسان منصهر داخل الايقاع الخوارزمياتي مما يجعل الثقافة والابداع يخضعان للتنميط الذي يصعب ترويضه إنسانيا.

II. خاتمة:

نستخلص من هذه الدراسة أن الخطاب الرقمي المُولَّد بالذكاء الاصطناعي التوليدي أصبح يعيد إنتاج منطق السيولة الاستهلاكية عبر السرعة والتخصيص وقابلية الاستبدال، بما يؤثر في أنماط التلقي والهوية والاستهلاك، بحيث لم يعد الاستهلاك مجرد طابع اقتصادي مرتبط بالحاجات المادية فقط، بل ثقافة ورمزية ترتبط ببناء الهوية الفردية في العالم الرقمي المتغاير.

وقد ظهر الخطاب المُولَّد كأحد الفاعلين الجدد في الميديا الجديدة **New Media** في انتاج مضامين ومعاني استهلاكية من خلال قدرته على توليد محتوى متجدد ومتخصص يعزز الرغبة المستمرة للاستهلاك، كما أن تجليات الخطاب الرقمي المُولَّد بالذكاء الاصطناعي التوليدي تتقاطع مع خصائص المجتمع في مرحلة الحداثة السائلة وفق التحليل السوسيولوجي لأطروحات **باومان**، حيث يساهم هذا الخطاب في تكريس منطق السوق داخل الفضاء الرقمي من خلال إعادة بناء نموذج دورة الرغبات والاستهلاك وتعزيز ثقافة الإنتاج الفوري.

ومما سبق، نصل إلى أن تحليلنا النقدي للموضوع يفضي إلى ضرورة تتبع التأثيرات الميدانية للخطاب الرقمي المُولَّد بالذكاء الاصطناعي التوليدي على تمثلات السيولة الاستهلاكية لدى فئات اجتماعية مختلفة؛ بما يساهم في تعميق الفهم السوسيولوجي للتحولات التي يشهدها المجتمع المعاصر في ظل الخطابات الرقمية المولدة.

الإحالات والمراجع :

1. By Nick Palmer. (3 فيفري, 2025). The darker side of algorithms. تاريخ الاسترداد 23 2, 2026، من essencemediacom: https://www.essencemediacom.com/thought-leadership/new-communications-economy-entertainment-special-report/the-darker-side-of-algorithms
2. أحمد صغير موح، و أحمد كيشي. (2026). سيولة العلاقات الاجتماعية في ظل هيمنة النزعة الاستهلاكية: من منظور التحليل النقدي لزيجمونت باومان. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، 1، صفحة 245.256.
3. أمبارك أحمد، و محمد أمين بكيري . (2025). تحولات مفهوم الهوية في عصر الحداثة السائلة عند زيغمونت باومان. مجلة الفكر المتوسطي، 14(1)، صفحة 256_281.
4. أمبارك أحمد، و محمد أمين بكيري . (2025). تآكل الهوية في الحداثة السائلة: مقاربة نقدية لفكر زيغموند باومان. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، 13(2)، صفحة 572_591.
5. جدراوي عفاف. (2022). الإنسان المرتخي: " قراءة في وضع إنسان الحداثة السائلة" من منظور جيل ليبوفتسكي وزيجمونت باومان. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، 2، صفحة 990_1000.
6. حجّاج أبو جبر. (2022). هل من مكان للهوية في عالم معولم؟ استكشاف "الهوية السائلة" عند زيغمونت باومان. تبيُن(11).
7. زيجمونت باومان. (2016). الثقافة السائلة (الطبعة الأولى). (حجاج أبو جبر ، المترجمون) بيروت لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
8. زيجمونت باومان. (2016). الحداثة السائلة (الطبعة الأولى). (ترجمة حجاج أبو جبر،، المترجمون). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
9. زيجمونت باومان. (2016). الحياة السائلة (الطبعة الأولى). (ترجمة حجاج أبو جبر،، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
10. زيغمونت باومان. (2016). الأخلاق في عصر الحداثة السائلة (الطبعة الأولى). (بثينة الإبراهيمي، المحرر، و سعد البازعي، المترجمون) أبوظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة و الثقافة.
11. سامح عودة. (6 أكتوبر, 2025). "مجموعة السوائل".. طريقك إلى نظرية "باومان" في علم الاجتماع. تاريخ الاسترداد 4 2, 2026، من الجزيرة: https://www.aljazeera.net/sukoon/2018/1/22/%D9%85%D8%AC%D9%85%D9%88%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%A7%D8%A6%D9%84-%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%83-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D8%A7%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%86?utm_source=cha
12. فاروق بن خرف الله، و غازي محمد. (2021). نظرية التقاطع المعرفي في علم الاجتماع، زيغمونت باومان أنموذجًا. دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، 13.
13. فوزية شراد. (2017). من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة - مكامن التأزم وسبل الانفراج – منظور زيجمونت باومان-. سلسلة أبحاث المؤتمر السنوي الدولي كيف نقرأ الفلسفة. 1، الصفحات 743-770. الاسكندرية، القاهرة: قسم الفلسفة بكلية الاداب جامعة الاسكندرية.
14. ليندة بورايو. (2024). فلسفة التغير الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة: المجتمع الغربي أنموذجا. مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الانسانية والاجتماعية، 3، صفحة 135.149.
15. محمد بوداني. (2025). التعليم بين زمني الحداثة الصلبة والسائلة عند باومان. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 16، صفحة 226.244.
16. مركز وسائل الاعلام. (30 سبتمبر, 2025). تاريخ الاسترداد 05 01, 2026، من منظمة الصحة العالمية: https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/mental-disorders
17. ممدوح مبروك. (8 أكتوبر, 2025). السياسة وأحوالها في عصر الذكاء الاصطناعي. تاريخ الاسترداد 25 01, 2026، من مؤسسة الفكر العربي: https://arabthought.org/ar/researchcenter/ofoqelectronic-article-

urlTitle=%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-&details?id=2037
%D9%88%D8%A3%D8%AD%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-
%D8%B9%D8%B5%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%83%D8%A7%D8%A1-%D8%

18. مهما محمد عبد الرحمان الملا، و الحسن ميادة. (جانفي, 2026). ضوابط توليد الفتاوى الشرعية باستدام الذكاء الاصطناعي التوليدي "دراسة تحليلية لتأصيل الضوابط ". مجلة الدراية.
19. هربرت ماركيوز. (1988). الانسان ذو البعد الواحد (الطبعة 3). (جورج طرابيشي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الآداب.

20 .MITTAL, U., SIVA, S., VINAY, C., & DEVIKA. (2024, October 9). A Comprehensive Review on Generative. IEEE Access.